

فتح القدير

ثم ذكر من خصال المنافقين أنهم يحلفون الأيمان الكاذبة فقال : 74 - { يحلفون با } ما قالوا { .

وقد اختلف أئمة التفسير في سبب نزول هذه الآية ف قيل : نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت ووديعه بن ثابت وذلك أنه لما كثر نزول القرآن في غزوة تبوك في شأن المنافقين و ذمهم فقالا : لئن كان محمد صادقا على إخواننا الذين هم ساداتنا وخيارنا لنحن شر من الحمير فقال له عامر بن قيس : أجل وا إن محمدا لصادق مصدق وإنك لشر من الحمار وأخبر عامر بذلك النبي A وجاء الجلاس فحلف با { إن عامرا لكاذب وحلف عامر لقد قال وقال : اللهم أنزل على نبيك شيئا فنزلت وقيل : إن الذي سمع ذلك عاصم بن عدي وقيل حذيفة وقيل بل سمعه ولد امرأته : أي امرأة الجلاس واسمه عمير بن سعد فهم الجلاس بقتله لئلا يخبر بخبره وقيل : إن هذه الآية نزلت في عبد ا { بن أبي رأس المنافقين لما قال : ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك و { لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل } فأخبر النبي A بذلك فجاء عبد ا { بن أبي فحلف أنه لم يقله وقيل : إنه قول جميع المنافقين وأن الآية نزلت فيهم وعلى تقدير أن القائل واحد أو اثنان فنسبة القول إلى جميعهم هي باعتبار موافقة من لم يقل ولم يحلف من المنافقين لمن قد قال وحلف ثم رد ا { على المنافقين وكذبهم وبين أنهم حلفوا كذبا فقال : { ولقد قالوا كلمة الكفر } وهي ما تقدم بيانه على اختلاف الأقوال السابقة { وكفروا بعد إسلامهم } أي كفروا بهذه الكلمة بعد إظهارهم للإسلام وإن كانوا كفارا في الباطن والمعنى : أنهم فعلوا ما يوجب كفرهم على تقدير صحة إسلامهم قوله : { وهموا بما لم ينالوا } قيل : هو همهم بقتل رسول ا { A ليلة العقبة في غزوة تبوك وقيل : هموا بعقد التاج على رأس عبد ا { بن أبي وقيل : هو هم الجلاس بقتل من سمعه يقول تلك المقالة فأخبر رسول ا { A قوله : { وما نقوموا إلا أن أغناهم ا { ورسوله من فضله { أي وما عابوا وأنكروا إلا ما هو حقيق بالمدح والثناء وهو إغناء ا { لهم من فضله والاستثناء مفرغ من أعم العام وهو من باب قول النابغة : .

(ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب) .

ومن باب قول الشاعر : .

(ما نقوموا من بني أمية إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا) .

فهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم وقد كان هؤلاء المنافقون في ضيق من العيش فلما قدم النبي A المدينة اتسعت معيشتهم وكثرت أموالهم قوله : { فإن يتوبوا يك خيرا لهم } أي

فإن تحصل منهم التوبة والرجوع إلى الحق يكن ذلك الذي فعلوه من التوبة خيرا لهم في الدين والدنيا وقد تاب الجلاس بن سويد وحسن إسلامه وفي ذلك دليل على قبول التوبة من المنافق والكافر .

وقد اختلف العلماء في قبولها من الزنديق فمنع من قبولها مالك وأتباعه لأنه لا يعلم صحة توبته إذ هو في كل حين يظهر التوبة والإسلام { وإن يتولوا } أي يعرضوا عن التوبة والإيمان { يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا } بالقتل والأسر ونهب الأموال { و } في { الآخرة } بعذاب النار { وما لهم في الأرض من ولي } يوالِيهم { ولا نصير } ينصرهم .

وقد أخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن كعب بن مالك قال : لما نزل القرآن فيه ذكر المنافقين قال الجلاس : والله لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد فقال : والله يا جلاس إنك لأحب الناس إلي وأحسنهم عندي أثرا وأعزهم علي أن يدخل عليه شيء يكرهه ولقد قلت مقالة لئن ذكرتها لتفصحنك ولئن سكت عنها لتهلكني وإحداهما أشد علي من الأخرى فمشى إلى رسول الله ﷺ فذكر له ما قال الجلاس فحلف بالله ما قال ولكن كذب علي عمير فأنزل الله : { يحلفون بالله ما قالوا } الآية وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس نحوه وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أنس بن مالك قال : [سمع زيد بن أرقم رجلا من المنافقين يقول والنبي ﷺ يخطب : إن كان هذا صادقا لنحن شر من الحمير قال زيد : هو والله صادق وأنت شر من الحمار فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فجدد القائل فأنزل الله : { يحلفون بالله ما قالوا } الآية] وأخرج ابن جرير والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال : [كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل شجرة فقال : إنه سيأتيكم إنسان .

ينظر إليكم بعيني شيطان فإذا جاءكم فلا تكلموه فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال : علام تشمتني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا حتى تجاوز عنهم وأنزل الله : { يحلفون بالله ما قالوا } الآية] وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الأنصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن أبي لأوس : انصروا أخاكم والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل } فسعى بها رجل من المسلمين إلى رسول الله ﷺ فأرسل إليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فأنزل الله : { يحلفون بالله ما قاله } الآية وفي الباب أحاديث مختلفة في سبب هذه الآية وفيما ذكرناه كفاية وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : { وهموا بما لم ينالوا } قال : هم رجل يقال له الأسود بقتل النبي ﷺ وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في قوله : { وهموا بما

لم ينالوا { قال : أرادوا أن يتوجوا عبد ا بن أبي بتاج وأخرج ابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس قال : قتل رجل على عهد رسول ا A فجعل ديته اثني عشر ألفا وذلك قوله : { وما نقموا إلا أن أغناهم ا ورسوله من فضله { قال : بأخذهم الدية